سلسلة أبحاث فقهية

بر الوالدين

عبدالله أحمد خشيم

ح عبدالله أحمد خشيم، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
خشيم، عبدالله أحمد
بر الوالدين ـ الرياض.
٦٤ص ؛ ٢٠X١٤ سم
ردمك ٩-١١١-٣٤-٩٩٦٠
١- حقوق الوالدين ٢- البر والإحسان
أ - العنوان
ديوي ٥، ٢١٢ ١٨/٠٤٦٥

رقم الإيداع: ١٨/٠٤٦٥
ردمك : ٩-١١١-٣٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

ص.ب ٣١٥٧ الرياض ١١٤٧١
هاتف: ٤٦٤٣٠٥٣ - فاكس: ٤٦٥٨٧٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

يؤمن المسلم بأن سعادته في كلتا حياتيه الأولى والثانية، موقوفة على مدى تأديب نفسه وتطبيعها وتزكيتها، وتطهيرها، وأن شقاءها منوط بفسادها وخبثها.

كما يؤمن المسلم بأن ما تطهر عليه النفس وتزكو به هو حسن الإيمان، والعمل الصالح من أجل ذلك يباشرها بالآداب المزكية لها، ويجنبها كل ما يفسدها من الأقوال والأفعال، ويحملها على فعل الخيرات ،ويدفعها إلى الطاعة دفعاً، ويصرفها عن الشر صرفاً، ويردها ردًّا.

والمسلم يأخذ نفسه بمراقبة الله ، ويلزمها إياها في كل لحظة من لحظات الحياة ، حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها، عالم بأسرارها ، رقيب على أعمالها، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت . . . وهذا ما يبعث الاستقرار في النفس ، والأنس بذكر الله ، والراحة في طاعته ، والرغبة في جواره ، معرضة عما سواه.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى. وما هم بمرضى. وذلك من آثار مجاهدة النفس.

روى الترمذي: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**).

الفصل الأول

- المقدمة.
- بر الوالدين وصية من الله.

إن إيمان المسلم بحق الوالدين عليه واجب كذلك برهما، وطاعتهما، والإحسان إليهما، وأن الله عز وجل أوجب طاعتهما، وكتب على الولد برهما والإحسان إليهما حتى قرن ذلك بحقه.

والمسلم إذ يعترف بهذا الحق لوالديه ويؤديه كاملاً طاعة لله تعالى، وتنفيذاً لوصيته ؛ فإنه يلتزم كذلك إزاء والديه بالآداب **التالية**:

(١) طاعتهما فيما يأمران أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية ومخالفة لله... إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٢) توقيرهما وتعظيم شأنهما وخفض الجناح لهما وتكريمهما بالقول والفعل، فلا ينهرهما، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يمشي أمامهما ، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولداً، ولا يناديهما باسميهما ، بل باسم الأبوة والأمومة ، ولا يسافر إلا بإذنهما ورضاهما.

(٣) برّهما بكل ما تصل إليه يداه ، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، كإطعامهما وكسوتهما، وعلاج مريضهما، ودفع الأذى عنهما، وتقديم النفس فداءً لهما.

(٤) صلة الرحم التي لا رحم له إلا من قبلهما، والدعاء والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما .

وهناك واجبات أخرى للوالدين، سنأتي على ذكرها في هذا البحث، إن شاء الله تعالى .

بر الوالدين وصية من الله

لقد أمرنا الله تعالى ببر الوالدين في مواضع كثيرة في كتابه الكريم سنأتي على ذكر بعض منها كما يلي: قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ البقرة: ٨٣.

إن أعلى الحقوق وأعظمها هو حق الله تبارك وتعالى، ثم من بعده حق المخلوقين، وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحق الوالدين في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

في الصحيحين عن ابن مسعود: (قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: " **الصلاة على وقتها** " قلت: ثم أي؟ قال: " **بر الوالدين** " قلت ثم أي؟ قال: " **الجهاد في سبيل الله** ".

جاء في الحديث الصحيح: أن رجلاً قال يا رسول الله من أبرّ؟ قال: " **أمك** " قال ثم من ؟ قال " **أمك** " قال ثم من ؟ قال: " **أمك** " قال ثم من؟ قال: " **أباك ثم أدناك ثم أدناك** ". قال الإمام أحمد: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**لا تحقرن من المعروف شيئا، وإن لم تجد فألق أخاك بوجه**

منطلق).

هذا للأخ من النسب أو أخوة الإسلام ، فما بال الوالدين، اللهم عظم أجورهما ، واجعلنا لهما بارين ومحسنين في حياتهما وفي مماتهما.

قال الله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٥].

قال مقاتل بن حبان: هذه الآية في نفقة التطوع. وقال السدّي: نسختها آية الزكاة . وفيه نظر: لأن الزكاة لا يجب صرفها لمن يعول ، والوالدين ممن يعول، والنفقة يجوز صرفها للوالدين والزوجات والأبناء وجميع من يعول إلى جانب الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وغيرهم ، فهي من الصدقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً**

الذي أنفقته على أهلك) رواه مسلم.

روى مسلم عن أبي عبد الله مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله)** .

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **(إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة)** متفق عليه.

أوصى الله تبارك وتعالى بالإحسان للوالدين، فإنه سبحانه جعلهما سبباً لخروجنا من العدم إلى الوجود ، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان بالوالدين ثم عطف على الإحسان إليهما وإلى القرابات من الرجال والنساء.

قال أبو الدرداء عن عبادة بن الصامت، كل منهما يقول : أوصاني خليلي رسول الله ﷺ : **(أطع والديك ؛ وإن أمراك أن تخرج من الدنيا فافعل)** في إسناديهما ضعف، والله أعلم.

ورد في قصص القرآن قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه

إسماعيل عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

هذا ضرب من سمو الطاعة وغاية في البر إذ جاد إسماعيل عليه السلام بنفسه وروحه لأبيه طواعية لله ثم لبر أبيه، وما هي إلا لحظات حتى ينتهي وقت الامتحان ، وتأتي البشائر بالفوز في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ** ﴾ الصافات : ١٠٣ – ١٠٧ .

إن مثل هذه الطاعة كانت في عهد نبوة من نبي لأبيه، إذ كانت الرؤيا من وحي الله ، فلذلك استسلما الأب والابن لأمر الله وحينما ناداه الله تعالى أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، ثم فداه الله بذبح عظيم . أي فدى الله إسماعيل بهذا الذبح جزاء صبرهما على أمر الله .

أما وقد ختمت الرسالات برسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، حيث نهى الله عن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، لو قال أحدهم : إني

أرى في المنام أني أذبح ابني. ماذا نقول له؟ نقول :هذا حلم من الشيطان، فـ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ النحل: ٩٠.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (**إذ رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله تعالى، فليحمد الله عليها، وليحدث بها**) . وفي رواية : (**لا يحدث بها إلا من أحبّ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعيذ من شرها ، ولا يذكرها لأحد؛ فإنها لا تضره**) متفق عليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (**الرؤيا الصَالحة ـ وفي رواية " الرؤية الحسنة" من الله ـ والحلم من الشيطان فمن رأى شيئاً يكرهه فليتفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره**) متفق عليه.

عن جابر رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: (**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**)

رواه مسلم.

ومن بر الوالدين : أن يطلب الولد من الله الغفران لوالديه ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وكان هذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام لأبيه قبل أن يتبين له عداوة أبيه لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

القضاء هو الأمر ـ كذلك أوصاكم ـ أي أمركم ، فقد أمر الله بهذا القضاء فقرن بعبادته بر الوالدين وأمر بالإحسان إليهما وعدم إسماعهما قولاً سيئاً أو مجرحاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ولا يصدر إليهما فعل قبيح ولا تنهرهما، أي لا تنفض يدك عليهما وباشرهما بالقول والفعل الحسن، وقل لهما قولاً كريماً ليناً طيباً بتأدُّبٍ وتوقيرٍ عظيمٍ،

وتواضع لهما بفعلك، وادع لهما بالرحمة في كبرهما وعند وبعد وفاتهما.

عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لما صعد المنبر قال : "آمين آمين آمين" قيل : يا رسول الله علام أمنت؟ قال : **أتاني جبريل فقال : يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك، قل آمين . فقلت : آمين، ثم قال : رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يُغفر له. قل : آمين . فقلت : آمين. ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قل آمين . فقلت : آمين**). رواه مسلم.

عن أبي مالك القشيري قال: قال النبي ﷺ : (**من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه**) رواه أبو داود الطيالسي.

جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فسأله ؟ هل يبقى في بر أبواي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال : (**نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما ـ أي الدعاء لهما ـ . وإنفاذ عهدهما،**

وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما) رواه أبو داود وابن ماجه.

عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أردت الغزو وجئتك أستشيرك؟ فقال: (**فهل لك من أم؟**) قال: نعم. قال: (**فالزمها ؛ فإن الجنة عند رجليها**). موطأ الإمام مالك.

عن المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال: (**إن الله يوصيكم بآبائكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**) أخرجه ابن ماجه.

قال الإمام أحمد عن رجل من بني يربوع قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس يقول: (**يد المعطي العليا أمَّك وأباك ، وأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك**).

عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلاً كان في الطواف

حاملاً أمَّه ، يطوف بها . فسأل النبي ﷺ : هل أديت حقها؟ قال :(**لا .. ولا بزفرة واحدة**) رواه الإمام أحمد بن حنبل.

الزفرة : الدفعة من النفس الذي يخرج ممدوداً من حزن أو نحوه مع أنين موجع ،أو طلق النفساء عند الولادة.

من وصايا لقمان الحكيم لابنه :

يقول الله تعالى محدثاً عن وصية لقمان لابنه :﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وَهُوَ يَعظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي**

مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ لقمان [١٣ – ١٩].

ليتنا نعتبر وصية لقمان الحكيم لابنه ، بأنها وصية من جميع الآباء لأبنائهم ، فنأخذها . . نستضيء بنبراسها . نطبقها كوصية غالية صادرة من نبع الحنان والشفقة والترقب بالأمل لإصلاح النية والذرية . ويا لها من وصية ساطعة كسطوع الشمس التي تملأ الأرض ومن عليها بالضياء والدفء.

نعم إن هذه الوصية واضحة كوضوح الشمس، فلا تحتاج إلىٰ شرح أو إيضاح، ولكن لا مانع من أن نأخذ جانباً واحداً منها ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان : ١٨].

أي لاتعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم ، واستكباراً عليهم، ولكن ألن جانبك، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث (**ولو أن تلقى أخاك بوجه منبسط**) وفي رواية (**بوجه منطلق**) وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ، والمخيلة لا يحبها الله، تفسير ابن كثير.

قال ابن جرير : أصل الصَّعَر داء يأخذ الإبل في أعناقها

أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها . فشبّه به الرجل المتكبر. ومنه قول عمر بن حي التغلبي:

وكنا إذا الجبّار صعّر خدّه
أقمنا له من ميله فتقوّما

وقال أبو طالب:

وكنا قديما لا نقرُّ ظلامةً
إذا ماثنوا صعر الرؤوس نقيمها

المختال الفخور: هو المعجب في نفسه والفخور على غيره.

عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه، فقال: (**إن الله لا يحب كل مختال فخور**) [لقمان ١٨] فقال رجل: يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها، ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي ؟ فقال: (**ليس ذلك من الكبر، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس**).

صدق رسول الله ﷺ فما أكثر الحقوق بين الناس التي تسفه وتغمط وأغلظها وأشدها ألماً وتقطيعاً إذا كانت تمتهن بين الأقارب والأرحام.